

## الكيبوتز الاسرائيلي : استغلال جماعي للعمل المأجور

أ. ن. سعد

ان مجمل عدد السكان المقيمين في الكيبوتزات في اسرائيل لا يشكل سوى ٣ ٪ من مجموع عدد السكان اليهود بالبلاد . ولكن نظرا لكثرة الكتابات عن الكيبوتز وزخم النشرات التي تصدر باستمرار لتمدحه وتمجده ، فغالبا ما يبدو الكيبوتز وكأنه يمثل طريقة عيش سائدة في اسرائيل . وبسبب هذا التركيز الدعائي الذي يشهده موضوع الكيبوتز ، وعلى الرغم من ضآلة حجمه سكانيا ، تصبح ضرورة معالجة هذه المؤسسة الصهيونية الفريدة ذات أهمية . وقد كان للكيبوتز تاريخيا ثقل ونفوذ في المؤسسة الصهيونية اكثر مما قد يبدو من حجمه السكاني اذ كان له الدور الحاسم في اثبات الوجود الصهيوني وتدعيمه سكانيا واقتصاديا وعسكريا في فلسطين . كما ان نسبة عالية من عناصر الدوائر الحاكمة في اسرائيل حاليا كانت خلال وقت او آخر اما ملتحقة او مرتبطة بالكيبوتزات . فضلا عن ذلك فان الكيبوتز اكثر من اي مؤسسة صهيونية اخرى يشكل مثالا مصغرا عن المجتمع الصهيوني بكامله . ففي تركيبه وممارساته ، يعكس الكيبوتز صورة صادقة عن التناقضات المجتمعية الكامنة في الدولة التي يعمل داخلها كما يظهر بوضوح التباعد بين ادعاءات الصهيونية ووقائعها . فالكيبوتز مثل الدولة الاسرائيلية ، لا يستطيع الاستمرار دون المساعدات المالية التي تأتيه من الخارج في الوقت نفسه الذي يجاهر فيه بمنجزاته المعجزة . وفيما يجمع الكيبوتز بين المزاем الاشتراكية والممارسات الرأسمالية تصطدم توهمات المساواة فيه بوقائع الفروق الطبقيّة .

نظريا ، يقال ان الكيبوتز مستوطنة جماعية حيث الملكية الجماعية والعمل الانتاجي المشترك والمراقبة العامة في الاجتماعات العامة للاعضاء وحيث القرارات تتخذ جماعيا على اساس ديموقراطي . وعناصر المساواة والاشتراكية والديموقراطية التي تنسب الى الكيبوتز قد احرزت له الشهرة والاعجاب في اوساط بعض المفكرين وحتى بعض اليساريين منهم وخاصة في الغرب . وبالذعية الواسعة التي تحيط احزاب اليسار الصهيوني مستوطناتها الجماعية ، بات الكيبوتز يعتبر مثالا للبدائل الممكنة للمجتمع الطبقي . فمبادئ الملكية الجماعية والقرارات الجماعية التي ارتبطت باسمه اعتبرها بعض المفكرين في الغرب مثالا ينتقض الاستغلال الطبقي الذي ينتج عن الملكية الخاصة والمراقبة الفردية . ولكن العنصر النظري المركزي الذي ارتبط به الكيبوتز هو التأكيد على ضرورة الانتاج الذاتي والعمل الجماعي بما في ذلك من رفض تام لاستخدام العمل المأجور . وقيل ان العمل الجماعي ضرورة للتوزيع المتعادل للثروة المجتمعية كما ان العمل الذاتي للجماعة ضرورة للحؤول دون استغلال الراسمال للعمال المأجورين . وبهذه النظرات المثالية التي امتلكها الكيبوتز للدفاع عن نفسه ، فان المستوطنين اليهود في فلسطين باتوا يرون انفسهم على أنهم نواة حركة تناضل في سبيل خلق المجتمع الاشتراكي . وغالبا ما توصف المستوطنات الاولى في الكتابات الحالية على انها كانت مجموعات من الرواد المثاليين المثابرين الذين التزموا هدف مكافحة الطبيعة وغزو